الأدب والحياة في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الأدب والمجتمع :

قامت مناظرة يوم الخميس الماضي في قاعة علي باشا مبارك بكلية دار العلوم ، موضوعها « هل الأدب للأدب أو الأدب في خدمة المجتمع ؟ » ورأس المناظرة الأستاذ عبد الحميد حسن ، وتناظر في الموضوع ستة من الطلبة ، فأيد الرأي الأول عبد الخالق الشهاوي وأحمد عبد الله البهنساوي ومحمد محمود عبد النبي ، وأيد الرأي الثاني محمد موسى طحان وأحمد غنيم وأحمد الرقم .

وسأعرض هنا بعض ما قاله المتناظرون ، وأعلن أولا أني لست محايداً ، وإنما أقول بالرأي الثاني ، ولهذا سأجمل من همي أن أفند ما لم يفند من أقوال أصحاب الرأي الأول ، وأعرض صفحاً عما لا أراه ينفع من كلام أصحاب الرأي الثاني .. ولا شك أن للقارئ حريته فيما يرى .

قال الشهاوي : إن الأديب ينتج وهو حالم ولا يتجه في إنتاجه إلا إلى الجمال ، وليس من هدفه الحق والمنفعة والخير . وأقول : إن الأديب لا يحلم بالهواء وما هو حين يستسلم للنشوة الأدبية إلا يسترجع ما رسب في أعماقه من شئون الحياة وصور المجتمع ؛ أما الجمال فلا تعارض بينه وبين الحق والمنفعة والخير ، ولم الفصل بينه وبينها وكثيراً ما يكون داعياً إليها ؟ وقال هل تريدون أيضاً أن تكون الأساطير الأدبية في خدمة المجتمع ؟ ورد عليه غنيم بأن الخرافية في الأدب ليست مقصودة لذاتها وإنما هي تشيد بالمثل العالية .

وقال البهنساوي : إن الأديب يشعر بما يشعر حراً فكيف تحملونه على أن يعبر كما يريد المجتمع ؟ وقال : إنه قد يغضب من المجتمع فكيف يعبر عن غضبه بما يرضي المجتمع ؟ وقال : إن الإنسانية هي نبع الأدب لا الاجتماعية . ورد غنيم بأن الأديب إنسان ممتاز يشعر بما في الحياة شعوراً ممتازاً ويترجم عنه لصالح المجتمع دون أن يملي عليه شيئاً ، وإنه حين يغضب من المجتمع لا يعاديه وإنما يثور عليه لإصلاحه ، وقال : إن الأديب لا يكون إنسانياً إلا إذا كان اجتماعياً .

وقال عبد النبي : إن الأخلاق اعتبارية تتغير والأدب خالد يعبر عن الحقائق الثابتة . وأقول : نحن لا نريد من الأديب أن يكتب في الأخلاق مباشرة ، وإنه حين يثور على وضع من الأوضاع الأخلاقية إنما ينشد التطور ورقي المجتمع .

ورد طحان على أن الأدب فن من الفنون الرفيعة لا يقصد إلا إلى الجمال ، فقال إنا لا نسلم بأن الفنون قاصر أمرها على الجمال ، فأنت ترى بتمثال الحرية مقاماً في أحد الميادين فيوحي إليك معاني الوطنية ومشاعرها ، ولم يقل أحد بأنه يجب عليك أن تشعر بجمال التمثال وتمضي دون أن تحس شيئاً من أهدافه القومية والاجتماعية . ومن طريف ما قاله طحان : إن « الأدب للأدب » كالنحو للنحو .. أي أن الإنسان بناء على هذا يعرف النحو ويلحن كما يشاء ، لأنه يعرفه لذاته لا ليقيم به الكلام ... وتساءل غنيم : هل الأديب حشرة إنلافية ؟

وقال الرقم : إننا إذا نظرنا في الأدباء الخالدين لم نجد إلا من خلدته آثاره في خدمة المجتمع .

وقد أثار المتناظرون موضوع « التابعي وأسمهان » إذ قال أحد الفريق الأول : إن التابعي يكتب في « آخر ساعة » مذكراته عن أسمهان ليعبر عن أحاسيس هذه الفنانة ، ولم يعبأ بمن ثاروا عليه . وقد كان ذلك مثار هجمات من الفريق الثاني على شغل تلك الصفحات بمثل ذلك الكلام . والحق أن الفريقين ظلموا التابعي ، فليست مذكراته عن أسمهان من « الأدب للأدب » وإنما هي تهدف إلى أغراض اجتماعية وسياسية يستشفها القارئ الفطن من خلال ما يعرض من حوادث .

وختم المناظرة الأستاذ عبد الحميد حسن مثنيا على المتناظرين وحسن تفاهمهم وما بدا فيه من الروح الرياضية قائلا بأنه إذا كان العمل الرياضي تمريناً للجسد فهذا تمرين للفكر ، والثاني أحق بأن تسوده الروح الطيبة . وآثر الأستاذ ألا يجري الاستفتاء بين الحاضرين لأن المقصود ليس انتصار فريق على آخر وإنما هو بحث للموضوع وتبين جوانبه . وأبدى رأيه في الموضوع فقال إنه لا تعارض بين الرأيين ، لأن الأدب ينبع من الفرد ومن المجتمع ، ومدار الأمر فيه على الصدق ، والأديب الصادق التعبير يخدم الإنسانية فرداً أو مجتمعاً .

وقد كان أصحاب الرأى الأول يرددون أن الأديب ليس واعظاً ولا مرشداً ولا مقرر نظريات وعلوم . وكان الفريق الثانى يقول بأن الأديب لا بد أن يعالج شؤون المجتمع ويكتب فى مشكلاته . وهنا أمر يحسن الالتفات إليه ، وهو أن الأديب لا يدعو إلى الأخلاق دعوة مباشرة ولا يعالج مشكلات المجتمع كما يعالجها الباحث الاجتماعى ؛ وإنما هو يتناول كل ذلك بطريقته الفنية وصوره الأدبية ومن المسلم به أن تجارب الحياة أجدى من الوعظ إن كان فيه جداء ، والأديب يعبر عن تجاربه الشعورية فينقل القارئ إلى عالمه ويؤثر فيه بحيث يجعله مشاركاً له فى التجربة ، والأديب حين يتجه إلى المسائل الاجتماعية إنما يأتيها من حيث آثارها فى صوره وأشخاصه ، لا من حيث هى مشاكل يقترح لحلها كذا وكذا .

والأدب الآن يتجه إلى الإنسانية وتحليل النفس ، والأديب حين يتنقل بقلمه إلى إبراز الشاعر الإنسانية وتحليلها إنما يهدف إلى الحق والخير والجمال .

الأدب المصرى :

قال الأستاذ بدوى طبانة فى كلمة له بالأهرام ، إنه لاحظ وهو يحقق كتاب « خريدة القصر وجريدة أهل العصر » للعماد الأصفهانى — أن مصر أنجبت نحو مائة وثلاثين شاعراً فى القرن السادس الهجرى ، جلهم إن لم يكن كلهم مغمورون لم يتناولهم علماؤنا وأدباؤنا بالدراسة كما تناولوا غيرهم من أعلام المشارقة والمغاربة .

وأذكر أن بعض الكتاب قد أثار هذا الموضوع منذ سنين ، ونبه على إهمال مصر الأدب المصرى مع جدارته بالإحياء والدراسة ، وأنشأت الجامعة كرسياً بكلية الآداب للأدب المصرى ، شغله الأستاذ أمين الخولى ، ووضع له منهجاً لم ينفذ ، والأستاذ يدرس الآن فى الكلية مواد ليس من بينها الأدب المصرى وهو لا يزال أستاذ الأدب المصرى !

ولا يزال أساتذة تاريخ الأدب فى المدارس وكليات الآداب ودار العلوم واللغة العربية يمرون بالأدب المصرى مارين مسجلين ، وقلما يحظى هذا الأدب بالتفات الأدباء فى غير المدارس والكليات .

ولعل من أسباب ذلك أن أكثر مراجع التاريخ والأدب فى العصور المصرية المتأخرة مخطوط .

ولا شك أن أول ما يجب عمله فى هذا السبيل ، هو إحياء

كشكول الأسبوع

□ من البرنامج الذى وضع للتعاون العربى فى اجتماع أطياب الدول العربية ببيروت ما يلى :

١ — تقوية نهوض اللجنة الثقافية فى الجامعة العربية بطريقة تجعلها إدارة مركزية لها نفوذها وسلطتها على الإدارات العلمية والثقافية فى جميع البلاد العربية .

٢ — الدعوة إلى مؤتمر لنوى لكى تصبح اللغة العربية متفقة فى مصطلحاتها ومظاهرها مع الظروف العلمية الجديدة ، مع تنسيق المصطلحات العلمية ولا سيما الأسماء الجغرافية العامة .

□ أعرب سفير إسبانيا فى مصر لسعادة عبد الرحمن عزام باشا عن رغبة بلاده الاشتراك فى مهرجان ابن سينا الذى تعتزم إقامته اللجنة الثقافية بالجامعة العربية . وقد رحب عزام باشا بهذه الرغبة .

□ زار معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف مؤسسة الثقافة الشعبية ، وألقى هناك كلمة قال فيها : إنى قرأت فيما قرأت أن الموسيقى كانت تدرس فى الأزهر الشريف عند نشأته إلى جوار دروس الفقه .

□ ألقى الأستاذ زكى طليمات محاضرة عن « فن الإخراج » بالجامعة الأمريكية ، أوضح فيها أصول هذا الفن ودقائقه ، ومما قاله أن أول ما يشترط فى المخرج الفهم ، فهم ما بين السطور وإدراك المرامى الخفية ، حتى يستطيع إبراز الرواية فى الإطار اللائق بها .

□ وافق معالى وزير المعارف على اعتماد ثلاثة آلاف جنيه فى الميزانية الجديدة لإقامة حفلات تمثيلية نموذجية يقدمها خريجو المعهد العالى لفن التمثيل وطلبته فى دار الأوبرا الملكية . وقد حقق معاليه بذلك رغبة العاملين على ترقية التمثيل المسرحى فى مصر .

□ قال الدكتور أحمد عبد النبى بك فى محاضرة عن الموسيقى بالجامعة الأمريكية : إن ترديد كلمة « يا ليل » وإن كان مرتاحاً للأصول الفنية إلا أنه لا يلائم ذوق العصر ، فليرح المغنون أنفسهم من مناداة الليل الذى لا يجيب .

□ اتجه الرأى أخيراً فى وزارة المعارف ، إلى أن خير حل لمسألة مراقب التعليم بالسودان هو تعيين مراقب جديد يكون مقره الخرطوم ، ويسند إلى المراقب السابق منصب آخر بالوزارة .

□ جاء فى حديث الأستاذ أحمد أحمد النجمى أنه سبق الأستاذ أحمد بحر إلى نظم صور شعرية للأدباء ، وأن الأستاذ العوضى الوكيل نسج على منوال بحر فى ذلك وأعد للطبع ديواناً كاملا بعنوان « رسوم وشخصيات » والأستاذ النجمى يريد تسجيل أسبقيته على الاثنين فى هذا المضمار . والرسالة تسجل للمرحوم أحمد الزين السبق على أولئك جميعا .

□ صدر أخيراً كتاب « رسالة الشاعر » للأستاذ إبراهيم الأبيارى ، وهو يتضمن بحثاً عن رسالة الشاعر فى الحياة ودراسة طائفة من شعراء الجاهلية والإسلام فى ضوء هذه الرسالة .

□ اتصل بى الأستاذ عبد الرحمن الخميسى ، وأوضح لى وجهة نظره فيما كتبته فى الأسبوع الماضى من فصلين من شعره ، وموعدنا لبسط ذلك الأسبوع القادم .

هذه الكتب بالتحقيق والطبع لتكون فى متناول طلاب الأدب ، وعندنا هيئات حكومية وأهلية تعمل فى إحياء تراثنا الثقافى ، كالقسم الأدبى بدار الكتب ، وإدارة التراث العربى بوزارة المعارف ، ودار المعارف ، فهلا وجهت عنايتها إلى هذه الناحية ؟

فى معرض الفن الإيطالى :

هناك على شاطىء النيل فى قصر الخديو إسماعيل ، أخذت معروضات الفن الإيطالى مكانها ، وفى مدخلنا إلى هذا المعرض استوقفنا السرور بمرأى الجنود المصريين حيث تعودنا أن نرى السحن الحمراء التى كانت تحتل هذا القصر ، وشارك العلم المصرى المرفوع فوقنا فى الخفقان . ألا ليت شعرض الفن المقام هناك والذى نقصد إليه ، كان مصرياً .. حقاً إن الفن لا وطن له كما يقولون ، ولكن ظروف المكان تحتاج إلى استدراك ...

المعرض ضخم ، والمكان ضخم ، تنقل بصرك بين اللوحات المرصوصة وبين النقوش على السقوف والجدران ، فتحار بين هذه وتلك ، ومن الغريب أنهما يتشابهان فى الفخامة . وقد جئنا بالمعرض ، فاستدعى التفاتنا إتقان الأبعاد والألوان ، ولكن قلما وقفنا مشاركين فى إحساس وشعور . وطالما وقفت وقفات شاعرة أمام لوحات فى معارض مصرية ، أما فى هذا المعرض الإيطالى فلم أحس بالمشاركة الوجدانية إلا فى بضع صور ، منها صورة الحصان الميت وقد وقف بجانبه صاحبه العجوز البائس وملامحه تنطق بأنه لا يملك سواه ، وصورة أم تنظر إلى ابنها نظرات كلها حنان ، وفى مقابل هذه الصورة صورة أخرى كبيرة بها امرأة تحمل طفلها وبقرة بجانبها رضيعها ، والصورة الكبيرة فخمة جيدة التلوين ، باهرة النظر ، ولكنها فقيرة فى الإحساس والوجدان ، ومن الصور التى أعجبتنى أيضاً لوحة تهجم فيها عزّات على عربة حشيش ، وبالقرب منها راعية تبدو فيها « الرعابة » واضحة .

وقد وقفنا أمام صورة هناك فحدقت فيها لأرى ما هى ، وأنا أقول لصاحبى : هذه الصورة لا بد أنها من « السريالزم » ثم أردفت : إنها تمثل ديكا . فقال صاحبى — وهو الأستاذ أنور المدادى — بما أننا تبينا فيها ديكا فلا يمكن أن تكون من « السريالزم » !

نصف مليون جنيه يصرع رأسى الدولة :

صرح دولة إبراهيم عبد الهادى باشا للصحفيين فى أحد اجتماعاته بهم ، بقوله « إن ميزانية وزارة المعارف قد تضاعفت عدة مرات حتى أصبحت الآن حوالى ثمانية عشر مليوناً من الجنيهات ، تضاف إليها ثلاثة ملايين جنيه للتعليم الجامعى ، أى أن واحداً وعشرين مليوناً من الجنيهات تنفق فى العام الواحد فى نشر نور العلم ومحاربة الجهل فى مصر . وقد تدهشون إذا عرفتم أن إيرادات المصروفات المدرسية لا تواجه من هذا المبلغ الضخم غير ثمانمائة ألف جنيه .. »

ومعنى ذلك أن الدولة تنفق على التعليم نحو ٢٦ مثلا لما تحصله من التلاميذ ، وأنت قد تريد الذهاب إلى حلوان مثلاً ، فيقدم لك العامل فى (شباك التذاكر) ورقة تبرع لإحدى الجمعيات الخيرية بقرش ، وإذا ناقشته قال لك : من يدفع ستة قروش لا يكثر عليه قرش ! فهل نقول للدولة كذلك : إن ثمانمائة ألف جنيه ليست شيئاً إلى جانب واحد وعشرين مليوناً من الجنيهات ؟

والأمر أهون من ذلك ، فإن وزارة المعارف تبذل جهوداً وتنفق أموالاً بسبب تنظيم المصروفات المدرسية ، فهناك بحث حالات المجانية ونصف المجانية ومن لا يستحق المجانية ، وتتفرع من ذلك أعمال كثيرة يقوم بها موظفون ينظرون فى أعمار التلاميذ ونسب نجاحهم ، وفى إحصاء أبناء المدرسين والصحفيين والضباط وفحص حالاتهم لتبين من يستحق نصف المجانية منهم ، وفيمن لديه ولدان ينفق عليهما فى إحدى المدارس الثانوية وما يعادلها فيعفى بقية أولاده ، ومن لديه ولد واحد إذا كان مدرساً وفيمن أغنى عليهم الدهر ... إلى غير ذلك من التحصيل والرصد وكتابة (الاستمارات) وإعداد الميزانية ، مما يخصص له موظفون يتناولون مرتبات ويطالبون بتطبيق (الكادرات) .

ولا بد أن كل ذلك يستنفد بعض ثمانمائة ألف الجنيه ؛ وما يتبقى بعد ذلك ، ولنفرض أنه نصف مليون جنيه ، يصدع رأس الدولة بالشكاوى ، ويشغل وقت الرؤساء والنواب والشيوخ وغيرهم من ذوى الجاه بالوساطات والشفاعات ، ويشغل بال الموزين من آباء التلاميذ ويربك حياتهم ويتحيف مستوى معيشتهم ، وقد يحملهم على بذل ماء الوجوه فى التوسل والرجاء ، ولا يخفى أن الأولاد تنطبع فى أذهانهم صور من ذلك تخل بمعيار النظر الصحيح إلى الأمور .

نصف مليون جنيه ... استغنوا عنه وضموه إلى الواحد والعشرين . وأريحوا أنفسكم وأريحوا الناس ...

عباس خضر